ملاحظات عامة حول مصادر دراسة اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة

أ.د رنيف جورج خوري

عضو المجمع المراسل من ألمانيا

إن دراسة اللغة العربية منذ أقدم مراحل تطورها تتطلب الجواب على أسئلة مختلفة أهمها تتعلق بالمراجع التي يستطيع الباحث أن يأخذها سنداً لبحثه، ولا نستطيع في هذا المجال سوى النظر في أقدم ما وصلنا من النصوص الخطية التي وصلتنا على هذا الوجه، وليس ما روي فقط أنها صُنفت ولم يصل إلينا منها سوى أخبار لاحقة لعصور أصحابها بكثير من الزمن.

وأقدم نص وضع بشكل كتاب هو ولا شك القرآن الكريم، وقد سبق للمستشرق Simon Hopkins أنه أعطى في كتاب نشر منذ أكثر من عشرين سنة لائحة لما أستخدمه في دراسته للغة العربية القديمة، استنادا على ورق البردي المؤرخ إلى ما قبل القرن الثالث الهجري (أوائل القرن التاسع الميلادي) [1]. وهذه المراجع هي كما يلي:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الشعر الجاهلي

ثالثا: الأدب النبوي أي (الحديث، السيرة والرسائل المختلفة)

رابعا: الأدب القصصي في أيام العرب.

وإذا ما تصفحنا تأريخ تطور هذه الأقسام الأدبية التي تبع وضعها بشكل كتب فنجد أن قسماً منها حُفظ على ورق البردي وقسماً آخر نقل عنها وتطور محتفظاً بما هو قديم، فإذا به يشكل نفس المادة من ناحية قدمها وانتمائها إلى أوائل ما كتب وصنف وروي. فإذا ما تفحصنا لغة هذه النصوص التي أود أن أسميها متممة لأوائلها رأينا إن فيها كثيراً من النواحي القديمة المتعلقة ليس فقط بالكتابة بل أيضاً بتطبيق القواعد العامة للغة في تطورها من هيئتها القديمة إلى أخرى أخذت فيها تظهر نظم طُبقت ونشرتها كتب من القرن الثالث الهجري فصاعداً، فقل في هذه المرحلة الأخيرة الاضطراب في تطبيقها وخاصة كتابتها، وسيظهر ذلك بوضوح فيما بعد.

ويجب أن أشير إلى ناحية لديها بعض الأهمية في هذا الصدد ألا وهو أنه لدينا عددا لا بأس به من الكتب حول الكتابة وتطورها، ولو أن ذلك ليس دائماً مقنعاً حق الإقناع بما يتعلق بأقدم النصوص وعلاقة كتابة الكلمات العربية بما سبقها في اللغات السامية التي تأثرت بها أي تأثير. وذلك فيه الصواب أيضاً بما يخص المكتبات وتكوينها ومحتوياتها ابتداء من القرن الثالث الذي تكلمت عنه [2]. غير أنه ليس بين يدينا أي عمل ذي أهمية شاملة في نشأة أقدم المكتبات من صدر الإسلام إلى بزوغ

القرن الثالث، أي في القرنين الأولين وخاصة الثاني منهما الذي أخذ فيه التراث الإسلامي ينتشر ويزداد حجماً من جيل إلى جيل، حتى تهيأ الأمر لعلماء القرن الثالث أن يكوّنوا موسوعاتهم الكبيرة ويجمعوا ويصنفوا إلى أن أصبحت الكتب باللاَف متوفرة بأصولها في أماكن وبفروعها في أخرى، فإذا فقد أصل كان له فروع هنا وهناك، مما أدى إلى ازدهار الكتابة وتنظيم العلوم على أسس جديدة سنرى الشئ منها، خاصة في نص جميل للذهبي فيما بعد.

إذاً متى نفقد نصاً أصلياً فنستطيع التعويض عن ذلك بالرجوع إلى فرع منه أعطى تطوراً لنفس المادة الموضوعية وساعد على تضخمها مع الاحتفاظ بالأصل في طياته، فيجب ألا تهمل أجزاؤه القديمة في مثل هذه الدراسات التي هي موضع بحثنا، خاصة وإن التناص مشكلة بديهية والتطابق أكثر من واضح.

ومن العجب الكبير أن مثل هذه الأصول التي تتحدث عنها المؤلفات اللاحقة لها تُلفَت بمعظمها حتى أنه لم يبق لنا لدراسة بداية التراث الخطي للأجيال الأولى في الحضارة الإسلامية وتطورها سوى ما حفظته لنا أوراق البردي، وخاصة في مصر، بلد البردي، حيث وصلتنا منه آلاف كثيرة من الوثائق العديدة التي تسمح لنا تصور ما تكوّن ورُوي وصُنف، ومن البديهي أن بيوت العلماء القدماء كان لها الفضل الأكبر في إنشاء حلقات أو مجالس للقراءة والحديث بمعناه الواسع وجمع العلوم المعروفة في زمانهم، فكان لهذه المجالس الخاصة التي كانت بمثابة مضافات يتردد

إليها الخاصة من أهل الشيخ أو العامة من أهل المنطقة أو زوارها، كان لها إذاً أثر كبير- بجانب المساجد المتكاثرة جيلاً بعد جيل- في تشكيل أوائل مجموعات الكتب في صدر الإسلام. وفي هذه المجالس كان أهل العلم وطالبوه يجتمعون ويقرأون ويملون ويكتبون ويصنفون، فالشيخ يقرأ ويملي، ومستمعوه يكتبون وينسخون، فإذا بشيخهم يعطيهم الإجازات بعد سماعهم له. إجازة قراءة وسماع تؤهلهم بدورهم أن يقوموا بنفس شكل التدريس لما نقلوه، وذلك على من يزورهم أينما كانوا أو حلوا في ترحالهم المستمرة [3]. وفيما بعد عمل بذلك الخلفاء والأمراء وأهل العلم والثراء، فانتشرت الكتب في أنحاء مختلفة في الأمصار الإسلامية.

وهكذا نرى بجلاء أن الكتب المتأخرة التي أخذت تزداد انتشاراً وعدداً من القرن الثالث فصاعداً كأن لها أساس متين لا شك فيه، خاصة أنه من المستحيل أن نعتقد أن المؤلفات الأدبية الضخمة وُضعت خطياً فجأة دون تطور بطئ أخذ يزدهر رويداً رويداً مع تقدم الدولة الإسلامية وتوفر الوسائل الحضرية فيها. فمن الضروري إذاً أخذ مثل هذه المؤلفات القديمة التي يربطها التناص الكبير بعضها ببعض، ليس فقط من الناحية الفكرية، بل أيضاً وخاصة من الناحية اللغوية وكيفية كتابتها.

كلمة كتاب ومعناه الواسع

فأول ما يجب أخذه بعين الاعتبار هو كلمة كتاب التي على الباحث أن يعطيها حق معناها ويفهمها من بداية تطورها، وما يلفت الأنظار أولاً هو

أن المؤلفات التي وُضعت هذه المفردة في عناوينها لم تكن دائماً كبيرة الحجم، بل كانت صغيرة بشكل كراريس في بداية تطور المواضيع التي تنتمي إليها. فكل ما كُتب ودُون كان من الممكن أن يُدعي كتاباً، إذ كلمة كتاب هي بالأصل بهذا المعني: أي الشيء المكتوب أو الموضوع خطياً. وكانت الكلمة تطلق إذاً على بعض كلمات وضعت خطياً، كما يظهر ذلك بوضوح في قصص نبوكدنصر مع النبي دانيال حيث فسر له هذا الأخير - و هو في المنفي مع عدد من قومه - المعني المقصود : افبينما هو قاعد و عنده عظماء قومه و هم على عيد لهم، إذ بدت لهم كف معلقة لم يصل الكف ساعد أو إنسان فكتب لهم ثلاثة أحرف في جدار قبل وجوههم...

يا دانيال إني لم أرفضك زهاءة بك و لا رغبة عن رأيك، كايدة قومي فيك لما أكثروا علي و على أبي من قبلي...

و إني معيدك إلى منزلتك. فقال دانيال : قد سمعت فاسالني عن حاجتك. قال اقرأ هذا الكتاب و أخبرني بتأويله. فقرأه دانيال فقال : بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز و جمع متفرقب[4].

فالكتاب هنا سطر صغير فيه عدد محدود من الكلمات التي وضعت خطياً. و كيف ننسى رسائل قرة بن شريك والي مصر الأموي في أواخر القرن الأول للهجرة التي تستخدم كلمة كتاب بمعني رسالة[5]. و أروع ما قيل في هذا الصدد أتى به عمر بن أبي ربيعة في قصيدة قصيرة عنوانها كتاب :

«كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد

كئيب واكف العينين بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشوق بين السَحر و الكبد

فيمسك قلبه بيد و يمسح عينه بيد»[6]

إلى أن ينتهي بنا مدار هذه اللفظة من مثل إلى آخر فيصل بنا إلى فصل أو جزء من كتاب، كما هي الحالة في كتاب الزهد لأسد بن موسى (132-212/750-827)[7] ، وطبعاً إلى كتاب كامل كالمصحف الكريم أو كتاب سيبويه.

و هكذا نرى أن كل التطور في هذا المجال ساعده تطور كبير في عالم الخلفاء، أصبحت فيه الكتابة من أهم عوامل الاتصال بين العاصمة وبُقية الأمصار و ساهمت في تسهيل المعاملات بين أصحاب الأعمال والعلماء. ومما زاد ذلك سهولة هي أن وسائل المواصلات و العلاقات تحسنت بصورة كبيرة من ناحية، و أن مادة الكتابة - و هي ورق البردي حتى بعد اختراع الورق بعشرات من السنين - أخذت تنتشر أكثر وأكثر في القرن الثالث. فيجب أن نأخذ نصاً صغيراً للذهبي بعين الاعتبار ونضع له إطاراً تاريخياً ومعنوياً، استنادا على ما وصلنا من أقدم النصوص العربية على ورق البردي.

الذهبي (673-748/1274-1348) و سنة 143/760-761

إن لهذا المؤرخ أهمية كبرى في نواح عديدة، أهمها بالنسبة لأعمالي، وخاصة رأيه في تطور الكتابة وتدوين الكتب ابتداء من هذه السنة والنص كما يلي:

«قال الذهبي في هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه و التفسير وصنف إبن جريح التصانيف بمكة وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهم بالبصرة وصنف أبوحنيفة الفقه والرأي بالكوفة وصنف الأوزاعي بالشام و صنف مالك الموطأ بالمدينة وصنف إبن إسحاق المغازي وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع ثم بعد يسير صنف هشام كتبه وصنف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم ابن المبارك والقاضي أبو يوسف يعقوب وابن وهب وكثر تبويب العلم وتدوينه وربت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان ساير العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة فسهل و لله الحمد تناول العلم فأخذ الحفظ يتناقص»[8]

نص رائع وفي غاية الوضوح، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار المعطيات الخطية المتوفرة بين يدينا. ومن الطبيعي إن دراسته ممكنة بطرق عديدة، قد تلبي رغبات وحاجات مختلفة ولذلك فقد نوقش مرات قلائل من قبل الجابري وطرابيشي [9]. غير أن نظرتي له تختلف عنهما، بالرغم من أنها أقرب لما قاله طرابيشي، إذ إنها تستند على وثائق أدبية حفظت على ورق البردي وتتعلق بالعلماء المصريين الذين يذكرهم الذهبي، وهؤلاء يشكلون أكبر عدد بين من ذكرهم وهم أربع من بلد البردي، مما يشير إلى أهمية توفر مادة الكتابة هذه هنا. فنص الذهبي يسمى المدن أو الأمصار التي حصل التدوين والتصنيف فيها وهي:

1 ـ الحجاز بمركزية مكة والمدينة

2 ـ العراق: بصرة الكوفة (وبغداد التي لم تذكر باسمها)

3 ـ سوريا: مع عاصمتها

4 ـ اليمن (مع عاصمته صنعاء التي لم تذكر باسمها)

5 ـ مصر بالأخير دون ذكر لها باسمها، والتي يذكر منها أربعة من أهم ممثليها في القرن الثاني الهجري و أوائل القرن الثالث.

وهذا النص للذهبي يشكل قاعدة متينة نستطيع أن ننطلق منها لتتبع تطور التدوين والتصنيف من الناحية التاريخية. و بصورة واضحة نلمس من جلاله نشاطاً يزداد أهمية في وضع المؤلفات المختلفة خطياً، وخاصة بما يتعلق في البعض منها الذي له محل خاص فيما يهمنا هنا، إذ لهذه النصوص نواح مفيدة جداً لدراسة اللغة العربية الفصحى في مراحلها القديمة التي من شأنها أن تساعد في تفسير أحوال لغوية متأخرة تابعة لما يدعى باللغة العربية الوسيطة.

وما يلفت الأنظار من البداية هو أن حلقات العلماء إن في بيوتهم الخاصة - و هي تعد من أقدم مجالس الدراسة (قبل ظهور المدارس العلنية) ـ وإن في الجوامع والمساجد كانت تعتمد على التدريس الشفوي و على الحفظ الذي يذكره الذهبي. فكل ذلك وما نشأ وتطور فيما بعد ذلك في المدارس كان يحدث في داخل مجالس العلماء. وطريقة التدريس ورواية العلم ومؤلفاته معروفة، إذ ظهر بما يخصها مؤلفات مختلفة[10]، غير أن الشيء الجدير بالذكر والذي بقي بعيداً عن الاهتمام

هو أن هذه المجالس قديمة العهد جداً، وتاريخها الموثق يعود إلى أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان وحليفه وفاتح مصر عمرو بن العاص. فالكتاب الذي روي محتواه للخليفة في مجالسه في البلاط هو ا كتاب أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن و أشعارها و أنسابها ا، و الذي كان طبع لأول مرة في حيدرأباد مع كتاب التيجان لإبن هشام[11] . وهذا الكتاب الأخير استخرجه صاحبه من كتاب مماثل بنفس العنوان تقريباً من كتاب آخر لوهب بن منبه (34-110 أو 654/114-655-728 أو 732) لم يصلنا نصه بصورة مستقلة، غير أنه أساس القسم الأول من كتاب ابن هشام، الذي أضاف ما و صله من الكتاب عن طريق أسد بن موسي الأموي (132-212/750-827) أخباراً أخرى مطولة و أشعار كثيرة، غير أن كتاب عبيد بن شرية له الأهمية الكبرى في مجالنا هنا، إذ أن مدخل النص يذكر بوضوح الطريقة التي رأى الكتاب فيها الوجود . فعمرو بن العاص هو الذي نصح معاوية بعد أن أصبح خليفة اودانت له المشارق والمغارب ونال رفاعة الملكب [12] ـ أن يأتي بعبيد بن شرية ليقص عليه ما كانت نفسه تفضله من اللذات في آخر عمره وهي «المسامرة وأحاديث من مضي» . و الوصف الذي وُضع على لسان عمرو بما يتعلق بالرواية هو كما يلي:

«فقال له عمرو بن العاص: لو بعثت إلي الجرهمي الذي بالرقة من بقايا من مضي فإنه أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها، وأوصفه كما مر عليه من تصاريف الدهر.

فبعث إليه معاوية، فأتي في محمل بعد أيام كثيرة و شدة شوق من معاوية أليه، فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت العقل منتبه ذرب اللسان كأنه الجذع فسلم على معاوية بالخلافة، فرحب به معاوية وقال له: إني أردت اتخاذك مؤدباً لي وسميراً ومقوماً، وأنا باعث إلى أهلك وأنقلهم إلي جواري وكن لي سميراً في ليلي ووزيراً في أمري» [13] .

ومعاوية كان مشغفاً بأخبار ما مضي: بالأشعار والأنساب والأخبار[14]، فوجد في أخبار عبيد ما كان يحبه: «فإذا كان ذلك في وقت السمر فهو سميره في خاصته من أهل بيته وكان يقصر عليه ليله ويذهب عنه همومه وأنساه على كل سمير كان قبله ولم يخطر على قلبه شيء قط ألا وجد عنده فيه شيئا وفرحاً ومرحاً» .

ومما هو جديد بالذكر الخاص الجملة التي تتبع ذلك وهي «فإذا به كان يحدثه وقائع العرب وأشعارها وأخبارها أمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوه و يدونوه في الكتب » [15].

ففي الكلمات التي أستخدمها الخليفة ما يلقي نظرة جديدة على ظهور تيارات أدبية تاريخية بغاية الأهمية، ألا وهي الأدب والتأديب والمؤدب من ناحية، والسمر والسمير من ناحية أخري، وذلك في هذا العهد البعيد وفي كتب قديمة، إن لم تكن ـ بعد المصحف الكريم ـ أقدم ما وصلنا في تاريخ الآداب العربية والإسلامية على الإطلاق. وابن النديم الذي يسرد هذا الحديث بصورة مختصرة، يضيف إليه عبارة ليست في مقدمة الكتاب، وهي: «و ينسبوه إلى عبيد بن شرية» [16] . فالكلمات

المستعملة هنا تشكل منارة تلقي الضوء على تطور المفاهيم المربوطة بها والتي رُبطت بالقرن الثاني، أي من ناحية بعبد الله بن المقفع و ما كتبه في مفهوم ا الأدبب و بالقصص والروايات التي تتعلق بكتاب ا ألف ليلة وليلةب . وسنري أن هذه الكلمات يجب ربطها بالتراث العربي القديم الذي وصلنا على ورق البردي، أي أقدم الروايات الأدبية التأريخية بصورة خاصة .

أهمية الوثائق البردية المصرية و مفرداتها في هذا التطور الأدبي والتاريخي .

أليس من الطبيعي أن نرى مصر تحتل مكاناً رفيعاً في نص الذهبي الآنف الذكر، و هي بلد ورق البردي و التراث الذي روي كثير منه خطياً منذ آلاف من السنين، إذ ورق البردي كان معروفاً على أيام الفراعنة القدماء. فلذلك وجد العلماء المسلمون هنا تقاليد قديمة وكل ما كان الإنسان المتحضر يحتاج إليه ليملي ويكتب وينسخ. فلذلك ذكر الذهبي أربعة من أهالي مصر أخذ الحفظ ينقص في أيامهم و التدوين و التصنيف يزداد، دون أن يزيل الرواية الشفوية نهائياً بل كان مرافقاً لها، لذلك نرى بعض الفروق بين طريقة نشر النصوص تختلف باختلاف المادة وأهمية توفر مادة الكتابة ووجود علماء مختصين للاعتناء بها. ونحن كلنا نعرف أن الورق العادي الذي أخذ يظهر رويداً رويداً في عصر هارون الرشيد وزاد متانةً وانتشاراً مع الزمن لم يشكل مادة منافسة لورق البردي خلال عشرات وعشرات من السنين، إذ لم

يصلنا على الورق إلا وريقات قلائل مؤرخة أو تؤرخ بين 873/260 و909/297 .

وإذا ما فحصنا ما وصلنا من هذه المرحلة الخطية التي يتكلم عنها الذهبي، رأينا أنّ الوثائق العلمية هي نصوص أدبية تنتمي إلى فرع ما يُدعي بالحديث أو ما يُحدث به، ما يُروى، ما يقص، وسنرى فيما بعد كيف تغير هذا المفهوم وانفصل عن الحديث بصورة عامة ليخص الحديث الإسلامي ابتداء من النبي محمد فصاعداً إلى كتب الحديث المدونة والمعروفة في هذا المجال. فهناك الليث بن سعد (94-175/713-791) الذي كان «أمير مصر غير المتوج» ومن كبار أثريائها و أصحاب العلم والاهتمام بالعلم و العلماء. ومن المعروف أن ثروته ازدادت بسبب علمه، خاصة بعد أن ساعد الخليفة هارون الرشيد في الخروج من مأزق فقهي وديني حرج[17]. و كان بلا شك شيخ المدرسة الفقهية الأكثر أهمية في القرن الثاني الهجري في مصر، وكان صاحب الخير الأكبر الذي كان يساعد العلماء أينما كانوا، كمالك بن أنس في المدينة بعد أن انتشله من مآزق مالية عديدة، بصرف النظر عما كان عائشاً في مصر مثل عبد الله بن لهيعة الذي سنراه فيما بعد، وأسد بن موسي الذي دخل مصر هارباً من اضطهاد العباسيين لأسرته فتتلمذ للاثنين، وغيرهما.

وبعد الليث يذكر الذهبي عبد الله بن لهيعة (97-174/713-791)، قاضي الديار المصرية و أحد أئمة العلم الكبار في هذه البلاد، وكان صديق الليث الذي سانده علماً و دعماً مالياً، خاصة بعد أن احترقت

داره في أواخر عمره. وقد وصلنا منه ـ ليست فقط أحاديث عديدة تذكرها الكتب اللاحقة في تاريخ مصر وولاتها و قضاتها الخ. كما هو الحال بما يتعلق بالليث بن سعد ـ بل أيضاً بعكس هذا الأخير نشاط علمي خاص، إذ وصلتنا منه الصحيفة الوحيدة من القرن الثاني والتراث العربي الإسلامي القديم، وهي في الحديث المنتمي إلى علماء مصريين أو مرتبطين بهم كمصادر لآرائهم، وخاصة في وصف أحداث تاريخية تعد هي لها كأقدم مصدر يوثقها، ألا وهي من ناحية مقتل عثمان بن عفان في داره من وفود ثلاثة، أولهم وأكبرهم عدداً الوفد المصري، ثم يلحقهُ وفدان من الكوفة والبصرة، ومن ناحية أخرى مصرع عبد الله بن الزبير الذي هجم عليه الحجاج بن يوسف فدمر مدينته وقتل و بطش به. والصحيفة تبتدئ في وصف مطاردة معاوية، آنذاك والى دمشق، بواسطة فرسانه لرئيس الوفد المصري عبد الله بن عُديس، الذي قتل بحيلة بعد أن قيل له إن الالتقاء به لفض الخصام الناتج بين مصر وبين أصحاب وأتباع الخليفة الراشد، فهذا النص من أقدم النصوص التي وضعت خطياً على أيام بن لهيعة أو مباشرة بعد مماته، وذلك على يد أحد تلامذته المصريين، فلهذه الصحيفة مكان رفيع في تاريخ التدوين والتصنيف وفي دراسة تاريخ اللغة العربية في تطورها من الماضي إلى الأطوار اللاحقة لها. ومن الضروري أن يذكر نشاط ابن لهيعة الخاص في هذا المجال، إذ أصبحت داره أقدم مكتبة في مصر تعرف بهذا الإسم، كان يجمع فيها أصول الكتب و فروعها، يجمعها من كل زائر وكل من التقي به، فلذلك

أصبحت هذا الدار و مكتبتها مرحلة هامة للعلماء من أمصار أخري وحفظت فيها أصول أو نسخ عن أصول عديدة، على ورق البردي، منها كمية لا بأس بها من الوثائق العربية التي وصلتنا من هذا القرن، وفيها كل البرديات التأريخية والأدبية التي نشرتُها بنفسي في خلال العقود الأخيرة من السنوات و التي ذكرتها فيما سبق. وهذا يزيد أثر عبد الله بن لهيعة ومكتبته العامرة في تاريخ هذه الأمور الثقافية والحضرية وطبعاً اللغوية التي تهمنا هنا.

و الاثنان المصريان الآخران هما عبد الله بن المبارك (118-181/736-797) وعبد الله بن وهب (125-197/743-812) ، وهما من تلاميذ الشيخين السابقين، فالأول منهما لم يترك شيئاً وصلنا على ورق البردي، غير أنه ترك أقدم كتاب في الزهد في التاريخ الإسلامي اكتاب الزهد و الرقائقب الذي نشره الأعظمي في الهند[18]. كما ينسب إليه ا كتاب الجهادب الذي نشره حماد[19] وأما الثاني، وهو ابن وهب، فله علاقة أكبر بتاريخ البرديات، إذ وصلنا منه أكبر مجموعة في الحديث على ورق البردي في الإسلام، و هو كتاب ا الجامع في الحديثب الذي نشره David-Weill بعدة أجزاء خلال وبعد الحرب العالمية الثانية[20] .

وكما سبق أن أشرت إلى ذلك، فمفهوم الحديث في مثل هذه الكتب و البرديات القديمة يجب دراسته على ضوء ما رُوي فيها قبل أن أخذ التدوين والتصنيف يتزايدان و الحفظ يقل، وبعد ومثل هذا التطور. إذ أن كل ما وصلنا من هذه النصوص، طويلة كانت أو قصيرة، فكلها كانت

تروى شفوياً قبل وضعها خطياً، وفيها أيضاً كل هذه الأنواع الأدبية القديمة التي ذكرتها. فذلك يدل على أن كلمة «حديث» كانت ـ قبل التدوين و التصنيف والترتيب للمؤلفات المتزايدة عدداً وضخماً ـ كانت تستخدم لرواية كل هذه الأنواع الأدبية المختلفة، دون تفرقة، وذلك إلى حد فاصل، وهو أوائل القرن الثالث الهجري. فكل هذه الكتب كانت تروى في المجالس التي ذكرتها فيما سبق وإن كانت فيها أحاديث بمعنى قصص وروايات تاريخية عن الماضي أو الحاضر القريب فكانت تدعى حديثاً يحدث الرواة به. وأقدم أثر لاستعمال كلمة «حديث» بمعني «قصة» هي بردية من برديات جامعة هيدلبرج القديمة في النبي داود، وهي تحمل عنوان «حديث داود» ، و ليس هذا الحديث سوي قصة الملك النبي، تصف بعض حوادث حياته وملكه، منذ أن أخذ الملك عن أول ملك في بني إسرائيل وهو شاوول، إلى أن مات و صعد على العرش ابنه سليمان الحكيم[21] و هناك نص كتاب مطول، روي و دون في مجلدين، وهو كتاب «بدء الخلق و قصص الأنبياء» رواه أبو رفاعة بن وثيمة بن موسي بن الفرات الفارسي عن أبيه وثيمة. و وثيمة هو صاحب الكتاب الذي جمع محتواه في الفسطاط، وذلك استناداً على ما سمعه أو نسخه مما كان محفوظاً من الأصول و الفروع في مكتبة القاضي عبد الله بن لهيعة الأنف الذكر، وكانت محفوظة فيها نسخ (أو أصول) عما وصل إلى مصر مع أحفاد وهب بن منبه، من روايات هذا الأخير، بما فيها «حديث داود» . ووثيمة إحتفظ داخل قصة النبي داود في كتابه بكل نص البردية

التي نقل عنها، مما ساعدني في ترميم معظم صفحات وأجزاء البردية، التي وصلتنا بصورة مجزأة وفي معظم صفحاتها فراغ هائل وليس في أسطر كثيرة منها سوى بعض الحروف.

و البردية مؤرخة نسختها بسنة 844/229 نقل وثيمة نصه عنها حرفياً، وأضاف إليه زيادات لحقت عهد مؤلفها الأول، فكان ذلك أوضح برهان التناص الذي تكلمُت عنه فيما سبق. وبسبب هذا التداخل الرائع بين النصوص يقودنا الطواف إلى إعادة النظر ببعض المفردات اللغوية والثقافية وفي مطلعها كلمة «حديث» التي استعملت كما ذكرت أكثر من مرة بمعني ما يُحدث ويُروى ويقص، أياً كانت طبيعة المادة التي الأمر معني بها. وكما رأينا فإن النصوص كانت مدار الجلسات عند الخلفاء والأمراء وغيرهم فلما كثرت روايات الحديث وتوفرت سبل تدوينها وتصنيفها مع التطور الحضري، أصبحت الكتابة آلة لا يستغني عنها، حتى أن القلقشندي قال فيها:

«الكتابة أسس الملك و عماد المملكة» (22).

وذلك قاد العلماء، كما ذكر الذهبي، إلى التدوين والتصنيف، مما فرض عليهم التبويب و العنونة والتفرقة بين الكتب المتراكمة، التي لم تعد تحصر بعنوان شامل واحد، فأصبح الحديث العام ـ الذي كان يطلق على جملة من النصوص في الأجيال الإسلامية الأولى ـ أصبح مربوطاً في عنوان الكتب بالحديث الإسلامي الذي دون فيما بعد في كتب الحديث للبخاري وغيره من الأئمة. أما ما كان تطلق عليه كلمة «حديث»

بمعني «قصة» ففقد هذا التعبير في عنوانه وأبدل بكلمة «قصة» أو «قصص» و البرهان على ذلك هو أولاً: بردية «حديث داود» (أي قصة داود) وكتاب وثيمة و ابنه عمارة الآنفي الذكر الذي أطلقا عليه عنوان «بدء الخلق و قصص الأنبياء» .

وقد يقول البعض وما لذلك من الأهمية بما يخص اللغة ومفرداتها وتاريخ التطور الحضري في الإسلام؟ والجواب سهل وواضح وله أكبر أهمية في تتبع رواية الكتب و ترتيبها من الناحية التاريخية، وتطور المفاهيم الأدبية التي كانت منبعاً لها. إذ إن التبويب الذي ذكره الذهبي فرض على العلماء التخصص، وهذا التبويب استند على مثل هذه العبارات التي تميز بعضها عن بعض بازدياد المادة التي انتشرت أكثر وأكثر بفضل انتشار الكتابة و افتتاح المكتبات الخاصة والعمومية. فإذاً لكلمة «حديث» معانٍ و ليس معنى واحد، وذلك كما رأينا ابتداءاً من القرن الثالث، أي بصورة إجمالية بعد وفاة إبن لهيعة، وارتباطاً بمن زار بيته ومكتبته فنقل من كتبها ما نقل، وأعطى ما نسخه فيها أو ممن زارها لأولاده أو لتلاميذه مثل ما أعطى وثيمة لابنه عمارة، فالمعنى الواسع لهذه الكلمة ـ قبل التطور في دور التدوين ـ يقودنا إلى وضع نفس الإطار التاريخي للكتب والروايات القصصية ـ التي لم تزل تستخدم هذه المفردة بمعنى «قصة». هذا الكلام له معنى خاص لدراسة تطور تدوين الكتب قبل هذا الاستعمال الواسع و بعده، فاستناداً على ذلك نستطيع أن نتتبع كل الكتب أو أجزاء منها تحمل هذه العبارة في عنوانها أو قريباً منه، فإذا بها

تعود كتابتها إلى هذه المرحلة المتقدمة، أي إلى السنوات الأخيرة التي ظهرت فيها كلمة «حديث» بهذا المعنى في أوراق البردي القديمة الآنفة الذكر. و هذا ما يرتبط أيضاً بأقدم روايات ا ألف ليلة وليلةب التي نشرتها Abbot Nabia والتي تاريخها ليس تاريخ الشهادات الكاملة أو المجزأة التي كتبت بجانبها الأسطر القليلة من روايات ا ألف ليلة وليلةب، بل إن تاريخ هذه الأسطر من الكتاب أقدم ويعود إلى الزمن الذي دونت فيه قصة النبي داود التي تحمل كعنوان كلمة «حديث»، لأن ورقتي األف ليلة وليلةب ، تحمل أيضا هذه الكلمة في عنوانها، كما أشرت إلى ذلك مراراً في عدة أعمال منذ أوائل تسعينات القرن الماضي[23] .

اللغة العربية القديمة والمتوسطة في مثل هذه المراجع القديمة.

بعد هذه الكلمات حول تطور التدوين ودور الكتابة في تأريخ اللغة قد يتساءل الإنسان عن علاقة هذا العرض بتاريخ اللغة العربية وبصورة خاصة بهاتين الجهتين منها: قديمها ومتوسطها. والجواب لابد أن يكون مؤكداً لعلاقة وثيقة تظهر بوضوح من خلال الأمثلة التي سأسردها، وهي من هذه المراحل التاريخية التي أخذ التدوين والتصنيف فيها للكتب يتزايد، كما رأينا ذلك في نص الذهبي الآنف الذكر.

وهناك ملاحظة بدائية هامة، هي أن النصوص العربية القديمة، التي يستند عليها وصف اللغة العربية القديمة، لم تصلنا على شكلها القديم الذي رُويت فيه، إذ أن مرحلة تدوينها كانت مرحلة جاءت بعدها، كما هو

معروف وكما تشهد بذلك كل النصوص القديمة التي وصلتنا بشكل كتب، فإذا ما تصفحنا هذه النصوص القديمة، بجانب المصحف الكريم والشعر الجاهلي، فلا نجد شيئاً له قيمة من هذه العصور القديمة، بشكل روايات خطية طبعاً. فإذا صرفنا النظر عن البرديات المؤرخة فلا نجد ما نستند عليه إلى مرحلة التدوين التي نحن هنا بشأنها. والبرديات المؤرخة قليلة جداً وأهمها رسائل والي مصر الأموي، قرة بن شريك وهي من سنة 90 ـ أو 91 أي 709 ـ أو 710 للمسيح.

ومؤخراً نشر أو بالأحرى أعاد نشر كل الرسائل المعروفة مرة أخرى الأستاذ جاسر أبو صفية من الجامعة الأردنية[24]. ولغة هذه الرسائل كما نعتها أول ناشر للقسم الأكبر منها والمحفوظ في هايدلبرج، هي كما يلي بالنسبة للغة العربية الفصحى (القديمة): «ولغة الفرقتين العربية ـ بغض النظر عن بعض الشواذات التي سنتكلم عنها ـ لغة فصحى رائعة. وتبدو قديمة وغير حذقة و معقدة في التعبير و غنية بالتكرارات، كما هي الحالة في النصوص الأدبية القديمة. واستخدام النون المؤكدة في الفعل مستحبة، و ليس فقط في النهي... وشواذات للقواعد، أي صيغ في اللغة الدارجة، تظهر في استعمال الياء والنون (بدل الواو والنون) في صيغة مرفوع الجمع المذكر السالم...» [25].

و يضيف Becker في ملاحظاته اللغوية بعض الأمثلة التي تثبت سلامة مثل هذه النصوص وقدمها. وفي كلامه ما يشكل مادة بحث كامل في تاريخ تطور اللغة العربية بمفرداتها وتراكيبها. ولغة البرديات

التاريخية والأدبية التي رويت ثم صنفت بعد تاريخ رسائل الوالي قرة بن شريك لا تختلف مبدئياً عن لغة هذه الرسائل بصورة عامة. ولهذه النصوص التأريخية والأدبية التي هي أقدم ما وصلنا من هذا النوع في تاريخ الآداب العربية طابع خاص وما كان لا يستغني عنها في دراسة اللغة العربية الفصحى، ككل النصوص الأدبية القديمة التي وصلتنا منها نسخ مرتبطة بها، إن كانت نسخ قليلة أو كثيرة للمغازي أو سيرة الرسول، أو لقصص أخرى عن الماضي العربي والإسلامي، كما ذكر ذلك Noldeke بوضوح وبطريقة مقنعة في وصفه لقواعد اللغة العربية الفصحى[26]. فهذه النصوص تخضع لغتها للقواعد اللغوية بصورة إجمالية، مع العلم بأن، هذا التطوع لا يؤدي دائماً إلى خضوع تام في كل الحالات. و ذلك يدل على أن هذه القواعد و المراسيم اللغوية طبقت رويداً رويداً، لا فجأة، واحتفظت منذ بدايتها بكلمات وعبارات أخذت من روايات شفوية كان فيها ما فيها من أثر أو آثار لهجات أصحابها المحليين. وهذا شيء قديم، ولم ينتج في خلال الأجيال اللاحقة لعهد التدوين و لنشوء ما يسميه J.Blau بالغة العربية الوسيطة أو المتوسطة Middle Arabic [27] . ومن هذه الأحوال القديمة ما يلي:

كتابة الهمزة التي لا توضع (إلا في القليل القليل من الأحوال)، مثل:

جا (بدل جاء) ـ انا(بدل إناء) ـ بلا (بدل بلاء) ـ بها (بدل بهاء) ـ دعا (بدل دعاء).

ومضارع بعض الأفعال لا يحمل همزة أيضاً، مثل جا / يجي (جاء / يجيء) الخ.

وذلك لايدل على أن راى (رأى) و رايتم (رأيتم) كانتا تلفظان بالشعر دون همزة، فهذه الأخيرة لم تكن تكتب، وإنما كانت تؤخذ بعين الاعتبار لفظاً، و ذلك مراعاة للأوزان الشعرية التي تحتاج إلى مقطعها، وإلا فنقص شيء من تفعيلة معينة[28].

وهناك أحوال تتحول فيها الهمزة إلى ألف طويلة أو مقصورة (دون تفرقة) مثل قرى (قرأ) ـ اقرى (أقرأ) ـ اتكى (اتكأ)؛ وإلى واو مثل يروس (يرأس) ـ يوم (يَؤُم) ـ ؛ و إلى ياء مثل ايذن (ائذن) ـ بيس (بئس) الخ. وبجانب الهمزة هناك كتابة معاكسة للألف التي تكتب مرة قصيرة بدل أن تكتب طويلة ومرة أخرى بعكس ذلك. مثلا، طويلة بدل مقصورة: اضحا (بدل اضحى) ـ التقا (بدل التقى) ـ اوحا (بدل اوحى) ـ بغا (بدل بغى). ومقصورة بدل طويلة: خال (خلى)- أعدى (بدل أعدا / إعداء) - البلى (بدل البلا / البلاء) - كذى (بدل كذا) - هولى (بدل هولا /هؤلاء) [29].

وفي المضارع المجزوم أو في الأمر تبقى الألف أو الياء مثل: لم يرضى (بدل يرض). اكترى (بدل اكتر)، بالإضافة إلى إبقاء الألف بعد الواو في المضارع المفرد: يتلوا ـ تعلوا ـ ارجوا وحتى في أسماء موصوف مثل بنوا إسرائيل. ملاقوا الله[30]. وهذه الأوصاف تتردد من بردية أدبية تاريخية إلى غيرها على نفس الطريقة تقريبا[31].

وفي كتاب «بدء الخلق وقصص الأنبياء» لوثيمة وابنه رفاعة الآنفي الذكر أحوال في غاية الإفادة، أذكر بعضها تحاشيا للإطالة لأن لغته قديمة فيها قسط كبير يعود إلى عهد البرديات التي نقلت عنها أهم أجزائها القديمة ومن هذه الأحوال ما يلي:

الاحتفاظ بالهمزة حيث لم يبق لها وجود في بعض أسماء الموصوف، مثل: نبؤة (بدل نبوة) ـ نبئ (بدل نبى) ـ أوفي بعض أسماء العلم بعد الألف النهائية للاسم، مثل: ارمياء (بدل ارميا) ـ اشعياء (بدل اشعيا) ـ زكرياء (بدل زكريا) ـ ايلياء (بدل ايليا) . إلى ما هناك من أحوال أفعال حيث تكتب الياء مع همزة فوقها. مثل: جيئت ـ بطميئن ـ شيئت ـ وطيئهم إلخ. وما يدهش هو كتابة الهمزة تحت كرسيها على السطر، مثل: فيـءس (بدل فيئس) ـ مطمـءنا (بدل مطمئنا) إلخ[32].

وهناك أحوال خاصة يظهر فيها أثر البيئة الخارجية التي وصلتنا منها آخر رواية لهذا الكتاب ـ وهي الأندلس ـ إذ نجد عدداً كبيراً من كلمات أسماءاً وأفعالاً يقلب فيها الحرف الصوتي القصير(فتحة / ضمة / كسرة) إلى حرف طويل بإضافة الألف أو الواو أو الياء إليه (كعادات أهل المغرب المعروفة)، مثل: افعال (بدل افعل) ـ اقعودي (بدل اقعدي) ـ يزويجه (بدل يزوجه)، ولائحة هذه الكلمات طويلة أبرزتها على عدة صفحات[33].

وكل هذه الملاحظات المتعلقة بأحوال عديدة لكتابة اللغة العربية في مثل هذه النصوص القديمة تسمح بالاعتماد على ما يلي:

أولاً: إن اللغة العربية كانت في البداية لغة شفوية، وهذه الحالة رافقت تطورها فيما بعد، حتى بعد رسوخ مرحلة التدوين و هذا يعنى بوضوح أن أقدم النصوص في تاريخ العرب الجاهلي والإسلامي كانت رويت أولاً شفوياً في مجالس سمر، كما تبين ذلك بكل جلاء في «أخبار عبيد بن شرية» التي رأيناها فيما سبق يقصها صاحبها على الخليفة معاوية في دمشق.

ثانياً: بجانب هذا النوع من الروايات المحكية كان هناك نوع آخر عليه طابع رسمي وخطابي أكبر من الأول، فكان أكثر تجمدا ولم ينتشر بشكل قصص أو حديث أو أخبار محضة. وهذا الشكل من الأدب لم يكن يخدم الحديث والمحادثة في خلال المادة المروية. بل كان يدعمهما ويحليهما ويعطي الفكرة وضوحاً وتبريراً وبذلك نوعا من الحق والشرعية. ولذلك فبقي هذا النوع مروياً دون تغير لأنه كان مادة استشهاد وليس ما يستطيع الراوي بعد الآخر أن يتصرف به حسب ذاكرته وذوقه وإمكانياته. فأمثال ذلك أولا النص القرآني الكريم الذي له محل روحاني في المجتمع يرتكز عليه بناء الفرد والمجتمع دعماً للتصرف والحديث، وهكذا الشعر القديم الذي روته الكتب من جيل إلى جيل، والنصوص الإدارية القديمة التي بقيت لغتها دون ليونة لعدم نزولها إلى ساحة المحادثة، فبقيت على حالتها القديمة.

ثالثاً: نرى من خلال ذلك أن اللغة التي يتعاطي الناس بها أكثر فأكثر في الأمور اليومية ويتكلمها الناس في محادثاتهم تزداد مرونة وتطور،

والنمط الآخر يبقي كما هو ولا يتغير لأنه لا يخدم نفس الأوضاع بل يبقي كمادة استشهادات ذات أثر صالح يقتدي المستمع (والقارئ فيما بعد) بها. والنص الذي أتى كتاب عبيد بن شرية به يفيدنا من هذه الناحية أية إفادة، إذ الخليفة بنفسه يطلب من الراوية أن يثبت صحة روايته باعطاء أشعار تدعمها، وإذ به يكثر سرد الأشعار كلما أراد معاوية ذلك منه، فينشرح قلب الخليفة لسماعها فتاتي عبارات الفرح والانشراح مؤكدة لما كان مؤسس السلالة الأموية يحترم الشعر ويعتبره عمدة للتاريخ العربي القديم. (34) وهناك ما يؤكد الفرق أو الفروق بين هذين النوعين من النصوص المذكورة، أولا لغة النصوص الإدارية القديمة بتراكيبها القديمة كما في رسائل قرة بن شريك، ولغة شعرية استخدمت للحوار و المحادثة فسهلت وأصبحت على مستوى المستمعين وغير المختصين بالشعر القديم ، كما نراها في نفس الزمن الذي نشأت فيه هذه الرسائل، وهي لغة أشعار عمر بن أبي ربيعة الذي مات حول نفس سنة هذه الرسائل؛ فلغته التي قصد بها آذان وفهم مستمعيه و مستمعاته من النساء غير العالمات لغة مرنة لينة، كأنها أغنية حب للتفاهم والمحادثة فأول مثل من هذه القصائد هي قصيدة بعنوان «كتاب» :

«كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد
كئيب واكف العينين يا لحصرات منفرد
يؤرقه لهيب الشوق بين السَحر و الكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح عينه بيد» (35).

وأما المثل الآخر فهو حوار في غاية السهولة و الأناقة بين ثلاث نساء حول الشاعر تأخذ كل منهن أطراف الحديث الواحدة بالتصاعد في رسم العلاقة:

«بينما يذكرنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى و قد تيمتها قد عرفناه و هل يخفي القمر؟» (36)

نرى هنا لغتين تختلفان تماما بما يخص التراكيب والكلمات التي أصبحت في يد الشاعر مادة للغناء والمحادثة فمرت وبلغت مستمعيها ومستمعاتها بأكثر سهولة ومرونة. والتراكيب والكلمات القديمة تترد مع العصور، حسب الحاجة والموضوع و المناسبة. فنص يظهر قديماً ليس من الضروري أن يكون قديم العهد، خاصة وأن الرواة في العصور الإسلامية- ابتداء من السنة أو العهد الذي يذكره الذهبي كما رأينا فيما سبق - هم الذين كانوا في أساس وضع الروايات خطياً التي وصلت من الماضي الجاهلي وأوائل الإسلام. وهم الذين نسقوا ووافقوا ووحدوا، محتفظين بعدد من النصوص على حالتها القديمة كمثال أعلى يستشهدون به، ومن المؤسف أن نرى الآن كيف توحد كتابة وقراءة الكلمات والتراكيب، فيضيع طابعها القديم الذي يساعد على فهم الأوضاع الأولية والحقيقية التي نشأت فيها النصوص القديمة. وأحيانا تغير فيها نواح قديمة، رغبة في التوحيد وظناً أن الحالة القديمة ليست صوابا، مع أنها هكذا نشأت وكانت صوابا في عصرها.

فكل هذه الملاحظات فيها مادة للتفكير فيما يخص التقسيمات والفصل الحاسم بين فئة منها وأخرى، خاصة وأن هناك عدداً من الأحوال التي ينسبها البعض لما سمي باللغة العربية الوسيطة، مع العلم بأن مثلها يظهر في أقدم النصوص ولو جزئياً. و هذا لا يعني أن اللغة العربية أصبحت تزيد فتدخل الألفاظ والتراكيب العامية إليها فجأةً. وذلك لاستخدامها في مجالات أكثر شعبياً، غير أن ما ينعته البعض بسهولة كبيرة بالشواذ والخطأ إلى غير ذلك من الأوصاف، كان مرافقا للغة في تطورها، خاصة البدائي وإلى عهد التدوين والتصنيف والتنسيق والتوحيد، كما يظهر ذلك في أقدم النصوص التي ذكرتها هنا، فلذلك كان من الأفضل و الأعدل أن نخفف من حدة التقسيمات اللغوية، ونرى بالأحرى طبقات وتداخلاً بينها، مما يصعب الفصل الحاسم بين الطبقة و الأخرى و يجعله غير موافق للواقع التاريخي [37]. خاصة وأن هناك نصوص كثيرة حاولت أن تعيد جو الماضي وتراكيبه وعباراته ليس فقط في العصور الوسطى، بل أيضا في العصور الحديثة. فكم من الأشعار الكثيرة العدد في كتاب ا أخبار عبيد بن شريةب تضع أبيات شعرية في فم من تتعلق به الرواية، منذ آدم وصاعدا، دون التفكير بتاريخ اللغة وتطورها، إذ لم يكن للراوي ذي مهارة التقليد أي علم بذلك، وهذه المهارة في التقليد وإحياء الماضي بجوه وتراكيبه عاشت مدة طويلة إلى عهدنا الحاضر، إما لإثارة الإعجاب بالبلاغة أو بإتقان اللغة العربية الفصحى القديمة أو محبة لماضيها و جماله و دفاعاً عن التغيير الكبير في

نواح عديدة. وإظهاراً إضافياً لصعوبة التقسيم و التركيب في مراحل اللغة، أود أن أنهي كلماتي بوصفين لشخصين مختلفين وطرح السؤال عن كيفية الحسم في ترتيبهما و نسبتها إلى هذه المرحلة أو إلى غيرها.

و الأول كما يلي: ا فدخل عليه شيخ كبير السن صحيح البدن ثابت العقل منتبه ذرب اللسان كأنه الجذعب [38].

أما الثاني ففي إمرأة: «هي مستديرة الوجه زجاء الحاجبين وطفاء الأهداب دعجاء العينين يتألق الذكاء في بريقهما، يجلل وجهها الجميل شعر جثل اسحمْ و تلعب أبدا على شفتيها ابتسامة الخفر» [39].

هناك فروق واضحة بين الوصف الأول لعبيد بن شرية وهو داخل على معاوية، و بين الثاني الذي يخص مي زيادة بقلم سلامة موسى. وبالرغم من الفروق، فقد حاول موسى في وصفه الثاني لمي أن يستخدم جواً قديماً فيه كلمات و تراكيب قديمة، لسبب من الأسباب الآنفة الذكر، مما يبعد وصفه عن البيئة اللغوية التي كان يعيش فيها، إذ أصبحت اللغة تخضع لنظم جديدة تبعدها عن التعقيد الماضي في الكلمات والتراكيب، خاصة وإن الكتب يصعب انتشارها إن لم تكن على مستوى كثير من الناس، و ليس فقط لفئة صغيرة من المثقفين.

المـراجـع

(1) راجع : Simon Hopkins: Studies in the Grammar of early Arabic Based upon papyri datable before 300A.H/ 912 A.D.Oxford University Press 1984. XXXVII, dernier ß.

(2) بما يخص المكتبات ، راجع خاصة Youssef Eche, les bibliothèques Arabes publiques et semipubliques en MÈsopotamie, en Syrie et en Egypt au Moyen Age, Damas (Publ. Istitut FranÁais de Damas)

و بالغة العربية: السيد السيد النشار: تأريخ المكتبات في مصر- العهد المملوكي ـ القاهرة 1413 / 1993.

-شعبان عبد العزيز خليفة: المجموعة الببلوجرافية التأريخية - مجلدان: الكتب و المكتبات في العصور الوسطى - الشرق المسلم القاهرة 1997.

(3) راجع بما يتعلق بهذه الجلسات G. Vajda, les certificats de lecture et deTransmission dans les manuscrits arabes de la BibliothËque Nationale de paris, paris 1956; R. Sellheim, Gelehrte und Gelehrsamkeit im Reiche der Chalifen, Festschrift f¸r Paul Kirn,Berlin 1962. 54-79.

ترجمة عربية: عطية رزق: العلم و العلماء في عصور الخلفاء بيروت 1972.

محمد هاشم: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري بيروت 1982 .

(4) راجع مثلا الجملة الصغيرة التي توجب على النبي دانيال شرحها للملك نبوكدنصر R.G. Khoury, les lÈgendes prophÈtiques dans l'islam depuis líIer-IIIe siËcle de l'hégire, Wiesbaden 1978,80, النص العربي 281.13.

(5) مثال متين لذلك في رسائل قرة بن شريك التي نشرها C.H. Becker. Heideberg1906 جاسر أبو صفية مؤخراً و آخرون بعده: برديات قرة بن شريك العبسي. دراسة و تحقيق-مركز الملك فيصل- الرياض 1425/2004.

(6) عمر بن أبي ربيعة: ديوان، بيروت 1966 ص 114

(7) راجع RG .Khoury Asad Ibn Mùsa: kitàb az-zuhd. Nouvelle édition revue, corrigÈe et augmentÈe de tous les certificats de lecture, avec une Ètude sur l'auteur, Wiesbaden 1976. 39 ما بعدها

(8) راجع RG. Khoury «Abd Allàh ibn lahi' a: juge et grand MaÓtre de l'École Egyptienne, avec éd,Critique de l'unique rouleau de papyrus arabe conservé Heidelberg,Wiesbaden, 1986,31-32,

حيث عرضت هذا المقطع لأول مرة، ثم أعدت النظر فيه مراراً.لآخر مرة في مقالتي:

«L'apport spÈcialement important de la papyrologie dans la transmission et la codification des plus anciennes versions des Mille et Une Nuits st d'autres livres des deux premiers siËcles islamiques, in: papyrologie and the History of Early Islamic Egypt, ed.P.M Sijpesteijn / L. Sundelin, Lieden, 2004,70ff. (l'article:63-95)» .

(9) محمد الجابري: تكوين العقل العربي. بيروت1984ص16 وما بعدها. والكتاب لم يكن متوفراً لدي، خاصة وإن كتابي في لهيعة بقي سنتين تحت الطبع، فلم أعرفه إلا من خلال كتاب جورج طرابيشي: إشكاليات العقل العربي. بيروت / لندن 1998ص11 و ما بعدها.

(10) راجع ملاحظة رقم3 .

(11) الكتابان طبعاً بنفس المجلد 1347 / 1928ـ و أعاد طبعهما عبد العزيز المفالح . في صنعاء1979.

(12) أخبار عبيد 325 سطر 5-6 .

(13) أخبار عبيد 325 326 .

(14) راجع Arabic Literary papyri, I, Nabia Abbott, Studies in Texts Chicago 1957, 15 Historical 6-11. 15

(15) أخبار عبيد 326 سطر 6-11. 15

(16) Flügel, I, Leipzig, 1971-1972, 90 أبن النديم الفهرست طبع.

(17) راجع في ذلك ر.ج خوري: البحث العلمي والمهن الحرة في القرنين الأولين للهجرة ـ في : دراسات مهداة إلى عبد العزيز الدوري. نشر فاتح حسين ـ عمان 1995ص 110-119.

(18) ماليكاؤون. الهند 1966.

(19) بيروت 1971. 19

(20) و قارن القاهرة 1939, 1948,1941 .

(21) راجع R. G. Khoury, Wahb Ibn MunabbihÖ., Wiesbaden (Codices Arabici Antiqui I) 1972, I, 33 sqq, 117 sqq.

(22) راجع القلقشندي: صبح الأعشى القاهرة 1331 / 1913 م /ص 11. 22
و راجع أيضا كل الصفحة وما بعدها حيث يعطي معلومات أكمل لكل ذلك التطور.

(23) راجع ما كتبته في ذلك
RG. Khoury «Asad Allàh ibn lahi» a: juge et grand Maître de l'Ècole Ègyptienne,avec éd,Critique de l'unique rouleau de de papyrus arabe conservé Heidelberg,Wiesbaden, 1986,31-32, : حيث عرفت هذا المقطع لأول مرة ، ثم أعدت النظر فيه مرار
R.G Khoury «Asad Allah ibn lahi» a :26 ff. 31 f L'apport de la papyrologie dan la transmission et codification des premiËres versions des Mille et une Nuit, 21-33; Kalif Gesghichte und Dichtung: Der jementische Erzähler «Abid Ibn Sarya am Hofe

Mu awiyas, 204-218; Daur warak al-bardi fiÖ, Hauliyyat al-Dj,mi l-T°nisiyya, 161-182; les grands centres de conservation et de transmission des manuscrits arabes aux premier et deuxiËme siËcles de l'HÈgire, 215-226; Geschichte oder Fiktion. Zur erz?hlerirschen Gattung der ?ltesten B¸cher ¸ber arabien, 370-387; Die erz?hltradition. Im Islam, Islam ñ eine andere Welt? (Studium Generale Uni Heidelberg, Hg. Rektorat).Heidelberg 1999, 23-40. وقارنM. Ai- Djàbirï, Takwin al - al-akl al- arabi, 61 ff, Georges Taràbishi Ishkàliyyàt al-akl al- arabi, 11 ff.

(24) جاسر أبو صفية ـ فيه راجع ملاحظة رقم 5.

25. C. H Becker, Papyrus ñ Reinhardt I, Heidelberg (Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrus ñ Sammlung III) 1906, 30-31.

26. Th. Nöldeke, Zur Grammatik des classischen Arabisch, Èd. A. Spitaler, 2e éd. Darmstadt 1963, 2.

27. Cf, Joshea Blau, A Grammar of Christian Arabic based mainly on south palestinian Texts from the first millenium. Louvain 1966,19 sqq; 61 sqq (Orthoraphy and Phenetics) ; The Emergence and linguistic backyground of Judaea-Arabic. A study of the origins of Neo-Arabic and Middle Arabic. JÈrusalem, 3e ed. 1999, 1 sqq.,

حيث يكتب أن اللغة الغربية الحديثة لم تنتج بعكس الفصحى أدباً بالمعنى الأصلي. و هو بنسى أمثال سليمان البستاني و اليازجي و مسرحيات أحمد شوقي و جبران و مي زيادة و طه حسين و غيرهم من الرواد الرائعين.

(28) راجع R.G.Khoury, Wahb B. Munabbih, 21 sqq., la liste des cas se trouve à la p. 22 sqq. ; les légendes prophétiques dans l'Islam, 54 sqq.

(29) راجع R.G.Khoury, Wahb B. Munabbih, 26 - 27.

(30) نفس المرجع ص.27-29-30

(31) راجع R.G.Khoury, Abd Allàh ibn lahi, 236-24.

(32) راجع R. G.Khoury, Les légendes prophétiques dans l'Islam,

(33) راجع R.G. G.Khoury, Les légendes prophétiques dans l'Islam, 65-69

(34) راجع R.G.KHOURY, Kalif, Geschichte und Dichtung: Der jemenitiqhe Erzähler Abid Ibn Sarya am Hofe Muàwiyas. in: Zeitshrift für arabishe Linguistik (Journal de linguistique arabe, 25 (1993), 204 sqq. خاصة 216 - 218.

(35) عمر بن أبي ربيعة: ديوان، بيروت 1966ص11435.

(36) نفس المصدر ص 174 كل القصيدة ص 173-17436.

37. Cf. Joshua Bali, A Grammar of Christian Arabic based mainly on South Palestinian Texts from the first millennium. Louvain 1966, 19 sqq. , 61 sqq. (Orthography and Phonetics); The Emergence and linguistic background of Judaeo-Arabic. A study of Neo-Arabic and Middle Arabic Jerusalem, 3ed. 1999, 1sqq.
Studies in Middle Arabic and its Judaeo-Arabic Variety.Jerusalem, 1988, 8 sqq., 40 sqq., 255 sqq.

(38) أخبار عبيد 312-313,38-

(39) فاروق سعد: باقات من حدائق مي زيادة.سيرة مي زيادة مع منتخبات من تراثها. دار الأفاق بيروت 1983 ص 114 وهو يستشهد بكتاب العوضي الوكيل: مطالعات وذكريات. القاهرة 1972 رقم 7/284.